Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنها أول تجربة فنية يستطيع السياب أن يستقل فيها بموضوعه ، وفي الوقت ذاته يوظف فيها كثيراً من عناصر سيتول بنجاح كبير ، فحقق بذلك المعادلة الصعبة وهي التوازن بين تأثره بسيتول وأصالته في الإبداع . بعد طريق طويل من التجريب تقف على قمته قصيدته الملحمية الطويلة التي جعل موضوعها القنبلة الذرية محاكياً ثلاثية سيتول ، والتي فككها إلى قصائد ثلاث عند نشر أنشودة المطر : مرثية الآلهة ، من رؤيا فوكاي ، مرثية جيكور ، وهي موضوع دراستنا بعد قافلة الضياع مباشرة .

وموضوع « قافلة الضياع » هو اغتصاب فلسطين العربية وطرد أهلها هذه المأساة التي لا تختلف عن مأساة « هيروشيما » في أساسها الأخلاقي ، وإن كانت تفوقها عمقاً وامتداداً تاريخياً ، وهذا هو الأمر الذي يركز عليه السياب في قصيدته ، فإن بشاعة مأساة فلسطين تكمن في الموت المدني أو القانوني الذي حكم به على شعبها حين قضى طواغيت العالم ـ في الأمم المتحدة ـ بإحلال شعب آخر محلهم في وطنهم ، ولو أنهم قد ماتوا كأهل هيروشيما لاستراحوا ولم يعانوا مشكلة ما ، وتركوا للعالم معاناة عقدة الذنب . أما وقد تركهم الجناة أحياء ـ حياة ميكانيكية فقدت روحها ـ فقد كانت هذه الجريمة « أنظف » جرائم العصر الحديث قانونياً . وأبشعها في حقيقة الأمر . لقد صوروا الأمر على أنه إحلال شعب بلا أرض ، في أرض بلا شعب . ولكن الحقيقة كانت غير ذلك ، كان هناك شعب ذو حق تاريخي وقانوني وطبعي في أرضه وقد تمّ إلغاء وجوده فكان بذلك هابيل الحي ، الذي أهدرت حقيقة حياته ، وقيمتها الإنسانية .

ولكي يستكمل قايين تغطيته « الأخلاقية » للجريمة أقام العالم ما سماه « وكالة غوث اللاجئين » لإعاشة الشعب المطرود وعلاجه وتعليمه ! ! فكأن العالم قد قايض الشعب الفلسطيني عن وطنه ببطاقة الإعاشة الدولية ، واشترى منهم كيانهم الإنساني ببضع أرغفة من خبز ، واستراح بذلك إلى هذا الحل « الإنساني » الرحيم . تبدأ « قافلة الضياع » بزحف يذكرنا « بمهجرات » البلايستوسين لدى سيتول ، ولكن « الهجرات » الكبرى لديها كانت للأمام ، مما قبل التاريخ نحو العصر الحاضر . أما « زحف » السياب فهو إلى « وراء » أي من العصر الحاضر إلى ما قبل التاريخ ، وهذا منطقي هنا ، وإذا كان السبب لدى سيتول هو « المجاعة العالمية » فإن لدى السياب السبب نفسه وهكذا يحتفظ السياب بقدر من الاستقلال يوازي القدر من الاحتذاء الذي يساير به الشاعرة :

أرأيت قافلة الضياع ؟ أما رأيت النازحين ؟
الحاملين على الكواهل من مجاعات السنين
آثام كل الخاطئين . .